جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

اللغة العربية ورفقة آي القرآن
درس في
التصوير الشعري للهوية

الدكتور
ياسر السيد عبدالعال البنَّا
أستاذ الأدب والنقد المساعد
فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثاني عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636-316X

اللغة العربية ورفقة آي القرآن درس في التصوير الشعري للهوية

ياسر السيد عبدالعال البنَّا

قسم الأدب والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: yasserelsayed.4119@azhar.edu.eg

الملخص

في ظل زمن تتكالب على الأمة ولغتها أسباب الفرقة وطول الشتات يجئ هذا البحث بيانًا لمكانة الفصحى وفضلها، وأهم معالم هويتها، وليست ثمة شك في أن شرف نسبة الفصحى للقرآن الكريم يأتي مكمن عزتها، ومحور ارتكازها، وأكبر ضمانة تجعل الأدباء حين يعرضون لها يستدعون الصور المثلى لمكانتها، وتأسيسًا على هذا توجهت بموضوع هذا البحث نحو الشعر لتوقظ فينا نصوصه الإفاقة والتوجه نحو نماء لغة الأمة وإضافة أشرعة قوية إلى سفينتها.

وينتظر لخطة هذه الدراسة أن تبدأ بمقدمة أمهد فيها لموضوعها وأهميته، ثم عدة مباحث يتم فيها تحليل قصائد تحكي رفقة الفصحى لمعاني القرآن الكريم سببًا لروائها وبهائها، ومبعثًا لعزتها، وفخر أبنائها، ونزوعًا دينيًا لشعرائها، مع تحليل الأطر الفنية والأساليب ثم خاتمة توضح نتائج البحث وما يتمخض عنه من توصيات.

الكلمات المفتاحية: النزوع الديني – رفقة آي القرآن – الفخر والاعتزاز – هوية اللغة – مكانة اللغة – الإطار الفني – التصوير الشعري.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولى
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الالكتروني

حولية كلية اللغة العربية
بجرجا

Arabic language (Al-Fusha) and the companionship of the Quran verses – a study of poetic depiction of identity

Yasser Elsayed Abdelaal Elbana
Associate Professor of Literature and Literary criticism, College of Islamic and Arabic Studies, Al Azhar University .
Email: yasserelsayed.4119@azhar.edu.eg

Abstract

Considering we are in a time where many causes of division and dispersal are gathering upon our nation and its language, this research comes as a statement of the status of Al-Fusha, its value, and the most important features of its identity. There is no doubt that the honour of attributing Al-Fusha to the Noble Qur'an comes as its glory, its pivot, and the greatest guarantee that makes writers, when they faced with it, summon images that are ideal for its status. Based on this, I have directed the topic of this research towards poetry for its texts to awaken us and turn us towards the improvement of the nation's language and adding strong sails to its ship.

This study will begin with an introduction paving the way to its topic and importance. Then several chapters in which I have included an analysis of poems that narrate the companionship of Al-Fusha to the meanings of the Noble Qur'an as the reason for its narration and magnificence, the source of its glory and the pride of its people, and the religious tendency for its poets, with an analysis of artistic frameworks and the methods. Finally, a conclusion that clarifies the results of the research and the recommendations is included .

Keywords : Religious inclination, companionship of the Quran verses, pride and glory, language identity, language status, artistic framework, poetic depiction

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه الأمجاد، وبعد:

في ظل زمن تتكالب على الأمة ولغتها أسباب الفرقة وطول الشتات يجيء هذا البحث بيانًا لمكانة الفصحى وفضلها، وأهم معالم هويتها، وليس ثمة شك في أن شرف نسبة الفصحى لكتاب الله تعالى يأتي مكمن عزتها، ومحور ارتكازها، ومبعث حفظها وخلودها، وأكبر ضمانة تحمل الأدباء – حين يعرضون لها– على أن يستدعوا أسمى أوصافها، والصور المثلى لمكانتها.

وتأسيسًا على هذا توجهتُ بموضوع دراستي هذه نحو الشعر؛ لتوقظ فينا نصوصه الإفاقة والتوجه نحو شرف لغة الأمة ونمائها، ومدِّ أشرعة قوية لسفينتها، وكذلك يأتي هذا التوجه تأكيدًا لإيمان ذاتي عميق بأن رفعة الفصحى وتجددها ينطلق من إبداعها.

أما عن خطة البحث ومنهج السير فيه: فعرضه في مقدمة وخاتمة بينهما خمسة مباحث يسبقها توطئة أقدم فيها تتبعًا تأصيليًا ومقاربة استدلالية لبيان حكمة الله تعالى في اختيار اللغة العربية لشرف رفقتها لكتابه تعالى ولسان نبيه "صلى الله عليه وسلم".

أما المباحث الخمسة فعلى التوالي تأتي لدراسة نصوص التصوير الشعري لنسبة الفصحى للقرآن الكريم، نزوعًا دينيًا، وفخرًا وتيهًا، وذودًا ونصرة، وحرزًا وضمانًا، ثم درسًا فنيًا لظواهر أسلوب الشعراء في تلك النصوص وأثرها الدلالي والجمالي مع اعتماد الظاهرة الأكثر دلالة على الفكرة في الترتيب، وذلك بمنهج تحليلي يُعنى بثبر أغوار النص وبيان أفكاره

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

ودلالاته، والتعريف بصاحبه وأسلوبه من حيث الفن، فضلًا عن عمل الهامش وخدمات النصوص، أما الخاتمة فتضطلع بما انتهى إليه البحث من نتائج وتوصيات.

"وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨"[١]

الباحث

١- من الآية (٨٨)، سورة هود.

توطئة:

إلى أن يرث الأرضَ ومن عليها ضمن الله عز وجل شرف الفصحى ورفقتها لكتابه، ونص على ذلك في مواضع عدة من القرآن الكريم، قال تعالى:[١] " إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢"، وقال تعالى: [٢] " وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا" ، وقال تعالى: [٣] " قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٢٨"، وقال تعالى: [٤] " كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣"، وكذلك جعل الله تعالى اللغة العربية لسان النبي – صلى الله عليه وسلم– وقومِه وأداة دعوته، قال تعالى: [٥]" وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ".

ومع هذه الضمانة الكبرى اجتهد أهل العلم في رصد أسباب عدة ودقيقة لاختيار الله عز وجل للغة العربية لغة كتابه الكريم ورسالته الخاتمة، ومن أبين هذه الأسباب: مجيء القرآن الكريم ليتحدى استكبار الإنسان وطغيانه، ونوازع شره ومظاهر قوته وغروره وبطشه، وغير خفي أنها مظاهر كانت متوفرة لدى الإنسان العربي في هذا الزمن.

وفي المقابل كان يتوفر لدى الإنسان العربي أيضًا من ثوابت المحامد والأخلاق، كالبطولة، والكرم، والعفة، والإباء، والنجدة، والوفاء، والعزة،

١- آية (٢)، سورة يوسف.
٢- من الآية (١٣)، سورة طه.
٣- آية (٢٨)، سورة الزمر.
٤- آية (٣)، سورة فصلت.
٥- من الآية (٤)، سورة إبراهيم.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

والصلة، وغيرها من الصفات الطيبة التي جاء الإسلام يدعو لها، وجاءت دعمًا لدعوته.

وكذلك يعد من هذه الأسباب ما تميزت به اللغة العربية من ميزات فنية بين معجمية اشتقاقية، ونحوية تركيبية، وصوتية دلالية، وصرفية بنيوية، وغيرها من الفوارق الفنية التي منحت اللغة أوجه البلاغة والإعجاز، وحفظت لها مكانتها، وتفردها بين أخواتها الساميات.

ولعلنا مهما حاولنا الإحاطة بحكمة الله تعالى في اختياره اللغة العربية لتكون لغة كتابه الكريم، واختياره تعالى أمة العرب لتكون مهبط وحيه وموضع رسالته الخاتمة فإننا لا نستطيع، وسواء بدت لنا أسباب هذا الاختيار أولم تبدو فنحن نؤمن بحكمته تعالى فيه، فالله تعالى " فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾"[١]، وأعلم حيث يجعل رسالته.

والنتيجة الماثلة الواقعة هي ما حازته اللغة العربية من شرف نسبتها للقرآن الكريم وخلودها معه إلى يوم الدين، قال تعالى: [٢] " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾"، ومن ثم شرف رفقتها لسان النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم–.

وقد صوَّر الشعر شرف هذه الرفقة، وهيام الشعراء بها نزوعًا دينيًا، وفخرًا وتيهًا، وذودًا ونصرة، وضمانًا وتكريمًا، وتلك هي مباحث هذه الدراسة والصور التي تضطلع بتحليلها والوقوف على دلالاتها ومظاهر جمالها، وظواهر أسلوب نصوصها.

١– آية (١٦)، سورة البروج.

٢– آية (٩)، سورة الحجر.

المبحث الأول

شعر الرفقة..نزوع ديني

أكثر ما يأتي التصوير الشعري لرفقة اللغة العربية لآي القرآن الكريم بدفع من النزوع الديني للشعراء، فثمة رباط وثيق بين الأدب والدين، ذلك أن الدين لم يكن اسمًا لما يتعبد به وفقط، لكنه فضاء أنور وأطهر، وعالم رحب فسيح، وإحساس يأسر القلب والعقل والنفس الإنسانية، ويرتفع إلى حد الطمأنينة واليقين.

والعقاد كان يقول: "إن مزاج التدين ومزاج الأدب والفن يلتقيان في الحس والتصور والشعور بالغيب"[١]، والحق : ليس لكاتب أدب ذاتي أن يخفي انتماءه الديني، فالدين ودلالاته معان تطفو على سطح البوح ربما دون أن يعنيها الأديب، ولعلها أعلى معاني الانتماء، ومن ثم يستطيع المتلقي أن يلحظ تلك المعاني وأضدادها، وكذا الناقد – بطريق أولى – حين يتعقبها بحثًا عن المؤثرات الداخلية في أسلوب الأديب.

وقد بدا النزوع الديني دافعًا ومؤثرًا واضحًا بقوة في تصوير الشعراء لرفقة اللغة العربية لآيات القرآن الكريم أهم مظاهر مفارقتها وتميزها، ومن ذلك ما جاء واضحًا لدى الشاعر "على الجارم" [٢] في بائيته الكبرى بعنوان "اللغة العربية"، قوله يصف الفصحى بأنها: [٣]

١- "أنا" – للعقاد – ص ١٢٢ – ط دار نهضة مصر – ط الثالثة ٢٠٠٥م.

٢-علي بن صالح عبد الفتاح الجارم: ولد في رشيد ١٩٨٨م، وتعلم في القاهرة وانجلترا، صار وكيلًا لدار العلوم، ثم عميدًا لها، له شعر كثير أهمه ديوان باسمه، وتوفي يرحمه الله ١٩٤٩م.["معجم تراجم الشعراء الكبير– د/ يحي مراد – ١/ ٥٤٠– ط دار الحديث – القاهرة– ٢٠٠٦م].

٣-"ديوان علي الجارم" – ص ٣٢٧ – ط دار الشروق – الأولى ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، والبيت من بحر البسيط.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

روحٌ مـــن الله أحيَـــتْ كـــل نازعـــةٍ مـــن البيـــانِ وآتـــت كـــل مطَّلَـــبِ

إلى أن يقول:

وأغمـضُ العينَ حينًـا ثـم أفتَحُهَـا علـى جـلالٍ بنـورِ الحـقِّ مؤتشـبِ
نـورٌ مـن اللهِ هـالَ القـومَ سـاطعُهُ ولـيس يحجـب نـور الله بالحجُـبِ
تكلمـت سـور القـرآن مفصـحةً فأسكتت صخب الأرماح والقضب
وقـام خيـرُ قـريش وابـن سـادتها يدعو إلـى اللهِ فـي عزمٍ وفـي دأبِ

في نزوع ديني يصف الشاعر الفصحى بأنها روح من الله أحيتْ بيان الأمة ولغتها ووفَّت كل متطلبات بنيها، ثم هو يصفها تارة بأنها "جلال من نور الحق"، و"نور من الله"، تنطق بها سور القرآن الكريم ويبلغ بها النبي – صلى الله عليه وسلم – دعوته لِيَتمِّ فضل الله تعالى وتشريفه لها بهذا الاختيار وهذه الرفقة.

وكذلك جاء للنزوع الديني أثر واضح في تصوير رفقة الفصحى لآي القرآن الكريم لدى الشاعر الدكتور "عصمت رضوان"[١]، في قصيدته "قدسية الحرف"، ومنها قوله عن الفصحى: [٢]

إنْ أَمتدحها زكـا مـن عطرهـا كلمـي وخضَّب المسكُ أسبابي وأوتادي

١- د/ عصمت محمد أحمد رضوان: ولد بقرية العسيرات عام ١٩٧٦م، حصل على الماجستير والدكتوراة من جامعة الأزهر، ويعمل بها أستاذًا، ومن أهم إصداراته "أنشودة الحجر"، و"الحد في عام الرمادة".[معجم أدباء مصر- مسعود شومان- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤م].

٢- ديوان "قبل تبسم الفجر" – ص٣١ – ط مكتبة الآداب عام ٢٠٠٤م ، والأبيات من بحر البسيط.

أكرم بها لغة جاء الكتاب بها وقول أحمد في هدْيٍ وإرشادِ
لسان أهلِ جنانِ الخلدِ فاه بها فورائح بِرُبَى الجنَّاتِ أوغادِ
قدسية الحرف في العلياء قد عَرَجَتْ لسدرةٍ من كرامات وأمجادِ

فالشاعر بنزعة دينية يبتغى بمديح الفصحى أن ينشر ريحها الطيبة في شعره وكلامه وأن ترفل حروفه في مسك عطرها وطيبها بما استقته من نسبتها لكتاب الله تعالى حين نزل بها، وكذا كونها لسان النبي – صلى الله عليه وسلم – وأداته في تبليغ دعوته، ولسان أهل الجنة في غدوهم ورواحهم، في إشارة من الشاعر لحديث مختلف في صحة نسبته للنبي – صلى الله عليه وسلم– قوله: "أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي"[١].

وهي الأمور التي قادت الفصحى لأن تحوذ شرف الصعود إلى سدرة المنتهى أداة خطاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وحواره مع ربه جلَّ وعلا، في إشارة أخرى من الشاعر إلى واقعة المعراج وما شهدته الفصحى – بسبب رفقتها لكتاب الله تعالى ونبيه الكريم – من كرامات وأمجاد، ومن ناحية أخرى ما شهدته بسبب ذلك من مفارقة وتميز عن أخواتها الساميات.

١– أورده الألباني في السلسلة الضعيفة برقم ١٦٠، وحكم عليه بن الجوزي والذهبي وغيرهم بأنه موضوع ولا أصل له، وجاء أن الحافظ السلفي قال : حسن، ولا يدري قال حسن السند أم المتن.["المستدرك على الصحيحين" – النيسابوري–ت: مصطفى عبد القادر– ٥/ ١١٧– ط دار الكتب العلمية – الثانية ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م].

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

ولعلها ذات المعاني وذات النزعة الدينية التي رأى بها الشاعر "أبوزيد إسماعيل"[١] رفقة الفصحى لآي القرآن الكريم، وذلك في قوله من قصيدته "صلاة العائذين":[٢]

يكفي افتخارًا أن تلألأ حرفُها ... في صدرِ أحمدَ فاستزادَ بهاءَ

أمستْ صلاةَ العائذين بربّهم ... إذ يغسلون قلوبهم إسراءَ

وتخير الرحمنُ نفخةَ روحِها ... فَسَمَتْ كتابًا خالدًا وضَّاءَ

لو أنَّها امرأةٌ لكانت مريمًا ... أو أصبَحَتْ في قدرِها الزهراءَ

يعدد الشاعر مفاخر الفصحى ومواطن بهائها وروائها، وفي مقدمتها ضياء حرفها في صدر النبي – صلى الله عليه وسلم – قرآنًا يتلوه، وكلامًا يُبَلِّغ به دعوة ربه تعالى، وكونها لغة التلطف والدعاء والتبتل في صلوات العائذين، وأنات الباكين، وضراعات الحيارى، والموفقين المتوجهين في جنح الليل وستره بألسنتهم وأفئدتهم لله رب العالمين.

ثم يذكر الشاعر رأس هذه المفاخر واختيار الله تعالى الفصحى للخلود والضياء حين سمتْ لغةَ كتابه الكريم.

وحين يشبه الشاعر اللغة العربية بامرأة يرى أن تكون "مريمًا" أو "فاطمة الزهراء" – رضي الله عنهما – فلا أقل من مقام سيدات أهل الجنة ونساء العالمين حين يكون الفخار والتشبيه.

١-أبوزيد إسماعيل علام إسماعيل، من مواليد سوهاج عام ١٩٨٨م، تخرج في كلية التربية عام ٢٠٠٩م، من دواوينه "زخات حلم" و"ثم قست قصائدي"[ينظر: الغلاف الخلفي لديوانه "زخات حلم" – ط دار المنار للطباعة ٢٠١٩م] .

٢-"ديوان زخات حلم"- ص٤١، والأبيات من بحر الكامل.

وكذلك صوَّر الشاعر "رشدي الضبع"[١] اللغة الفصحى امرأة حسناء يخطب ودها، وبذات الرؤية الدينية جاء تصويره رفقتها لآي القرآن الكريم مظهرًا لتفردها ومفارقتها، يقول عن الفصحى: [٢]

في مهرها سخَّرتُ ألفًا تمتطي ... ألفًا من الأكوان في عُلياها

ورسمتُ فصحاها بلونِ محبتي ... الله من فوق الدنا زكاها

بكِ سُطِّرت ألواح وحي محمد ... خير الأنام وخير مَن علَّاها

هامت إليه ومنه كلُّ بلاغتي ... من ذا الذي يدنو لفيهِ سواها

فإذا كان ألف الألف في عالم الأعداد "مليونا" من الأكوان لا يستكثرها الشاعر مهرًا لمحبوبته في عليائها، ثم هو يعرب عن سر مكانتها حيث تزْكِيَةِ الله تعالى واختياره لها لتسطر سور القرآن الكريم وآياته وحروفه وألواح كتابه، وتعيش في فم نبيه – صلى الله عليه وسلم– وحيًا وذكرًا وأداةِ دعوةٍ وخطاب.

وكذلك صوَّر الشاعر الدكتور "محمد عبادي"[٣] الفصحى امرأة، لكنها أمُّ اللغات وملكة متوجه، يقول: [٤]

وأنا رسول الشعر جئت مبايعًا ... أمَّ اللغات وأحرفي استحياءُ

١–رشدي إسماعيل الضبع، من مواليد مدينة جهينة ١٩٨٩م، تخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ٢٠١٠م، من دواوينه "عازف الأرواء" و"عذرًا أبا تمام"[ينظر: ديوانه "عازف الأرواء" – ط مكتبة لمسة للطباعة عام ٢٠١٥م].

٢–"في محراب لغة الضاد" – مجموعة شعرية مشتركة –ص٥٩– ط مفكرون الدولية للنشر والتوزيع – الأولى ١٤٤١هـ، والأبيات من بحر الكامل.

٣– د/ محمد علي عبادي، من مواليد سوهاج عام١٩٨٧م، دكتوراة في الدراسات التربوية، معلم بالتعليم الثانوي، حصل على جائزة مهرجان إبداع عام ٢٠١٣م، له ديوان "مبتدأ لبكاء آخر" [ينظر: ديوان مبتدأ لبكاء آخر – ص٥ – ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦م].

٤– "في محراب لغة الضاد" – مجموعة شعرية مشتركة ، والأبيات من بحر الكامل.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

ماذا أقولُ وما معيني بالغ ... بعض الطريق وناقتي عرجاءُ؟
فسريتُ ما لفظ لديَّ أصوغُهُ ... والأبجديةُ عينُها خضراءُ
هل يستقيمُ اللفظ ذات قصيدةٍ ... أو يستوي المعراج والإسراءُ
الله عظَّمها فكان كتابُهُ ... عربيةٌ آياتُهُ عزراءُ

يرى الشاعر أن حروفه وقصائده لا تفي بما يجول بخاطره من معان تجاه مليكته، وإذا كان شعره يفي بوصف كل حبيب لكنه لا يفي بوصف الفصحى التي عظمها الله عز وجل برفقة كتابه الكريم، وغير خفي ما تفيده صورة الكناية في بلوغ المعنى، حيث صوَّر الشاعر قصوره عن أداء وصف اللغة الفصحى بناقة عرجاء، وكذلك ما أضافته صورة المفارقة بين المعراج والإسراء لما بين الفصحى وأخواتها الساميات من فوارق، بما يؤكد اتكاء الشاعر – من حيث الفن – على الصورة الفنية أهم ظواهر أسلوبه.

ومن النزوع الديني ما رأيناه واضحًا لدى الشاعر "جميل عبد الرحمن"[١] في تصويره رفقة الفصحى للقرآن الكريم، يقول عن أهل الجاهلية: [٢]

سارت بلاغتهم تحرك جلمدًا ... وتصب كأس السحر للظمآن
فأتى كتاب الله يعجز قولهم ... تدنو به الآيات في القرآن

١-جميل محمود عبد الرحمن، ولد بمدينة سوهاج عام ١٩٤٨م، حصل على بكالوريوس ودبلوم الدراسات العليا من كلية التجارة، له تسعة دواوين مطبوعة منها "على شواطئ المجهول" و"عناقيد من الجمر"، نال جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٥م.[ينظر: "معجم البابطين لشعراء العرب المعاصرين"- ٦/ ٢١٢ -ط دار الفكر العربي- الثالثة – دون تاريخ].

٢- الأعمال الكاملة – ص١٥٩– ط الهيئة العامة لقصور الثقافة- سبتمبر ٢٠١٤م، والأبيات من بحر الكامل.

لتضـــئ بـــالحق المبـــين قرائحًـــا نهلـــت مـــن الأضـــواء خيـــر بيـــان

فاللغة الفصحى وإن شاركت الجاهليين بلاغتهم وأسرار فصاحتهم إلا أنها حين حازت شرف الرفقة لكتاب الله تعالى ونهلت من نور البيان صارت لغة تحدٍّ وإعجاز لاسيما وهي تحاججهم في جنس ما نبغوا فيه لتكون سببًا في هدايتهم وأداة لتبليغ دعوة الله.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

شعر الرفقة.. ذود ونصرة

جاء الدفاع عن اللغة العربية والذود عن شرفها ومكانتها والدعوة لنصرتها غرضًا رئيسًا فيما كتب من شعر عن الفصحى وكذلك جاءت رفقة الفصحى للقرآن الكريم داعمًا رئيسًا لهذا الغرض السامي الذي باتت الحاجة إليه ماسة وملحة بداية من أواخر القرن التاسع عشر حيث نهضت بعض الصحف والشخصيات – بدعم من المحتل آنذاك– تروج للعجمة والعامية وتدعو لتقديمها على الفصحى بدعوى أنها باتت لغة تراث تقصر عن استيعاب قضايا العلم المتجدد، ولا تفي بتقدم العصر ومخترعاته الحديثة.

وقد كان الشعراء من أكثر أبناء الأمة تنبهًا لبهتان هذه الدعاوي الآثمة والهدامة التي لم تكن فقط تستهدف الفصحى، وإنما ترمي إلى النيل من الدين والتراث، وجاء الشعر يذود عن لغة الأمة وينبه إلى صلتها بالقرآن الكريم سر غناء اللغة ورفعتها، والذي تستمد منه تجددها وبقاءها ما دام باقيًا حيًا ومقروءًا، وما دام الناس يتذوقون حلاوة أسلوبه وعذوبة نطقه وموسيقاه.

ومن الذود والدفع عن لغة الأمة ضد الدعاوي الهدَّامة في إطار رفقتها للقرآن الكريم ما جاء لدى الشاعر "محمد مصطفى حمام"[١] في قصيدته "الشعر ولغة القرآن"، وقد بدأها يقول: [٢]

١– محمد مصطفى حمام: ولد في مدينة فارسكور(محافظة دمياط)، عاش بين مصر والسعودية والكويت، عضو رابطة الأدب الحديث، اشترك في ثورة سعد زغلول خطيبًا وشاعرًا، له عدة دواوين، وتوفي بالكويت عام ١٩٦٤م.[ينظر: "معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين"– ٤/ ١٣٣٥].

٢– "ديوان حمام"– للشاعر محمد مصطفى حمام– ص١٣٧– ط الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م ، والأبيات من بحر البسيط.

مُدُّوا على الكونِ ظلَّ الشعر فينانا وأجزلوا من رحيقِ الشعر سقيانا
يا معشر الشعر صان اللهُ معقلكُمْ ولم يزل صوتكم في الأفْقِ رنَّانا
وردَّ عنكم وعن أم اللغاتِ أذىً على كثير من الأفهامِ قد رانا
جارتْ على لغةِ القرآنِ طائفةٌ من أهلها ليت هذا الجوْر ما كانا

بدأ الشاعر قصيدته بأسلوب إنشائي واضح بين أمر ودعاء ونداء، يذكِّر أبناء الفصحى بفن العربية الأول الشعر العربي نموذج التعبير عن الفصحى وعذوبتها وغنائها، والشاعر يطلب إلى الشعراء العمل على رفعته وازدهاره لما في ذلك من رفعة اللغة العربية، ثم هو يدعو للفصحى وأهلها أن يُرَدَّ عنها الأذى الذي لحق بها ظلمًا وعدوانًا، ويتعجب الشاعر أن يصدر هذا الجور على لغة القرآن من بعض أهلها، في إشارة لتلك الدعاوى التي كانت تنادي بتقديم العامية والعجمة عليها، وقد بدا واضحًا أن الشاعر يجعل مصدر تعجبه ورفضه هو نسبة الفصحى لآي القرآن الكريم وهي الصلة التي تكفي دافعًا لنصرة الفصحى والذود عنها.

ولعل أكثر ما يبدو من حيث الفن تلك الصور التي ضمنها الشاعر بيت الاستهلال بطريق التجسيد، حين صور الشعر شجرًا وارف الظلال ممتد الأغصان، عذب الرحيق، طيب الثمار، على ما تسهمه الصورة من بلوغ معاني النص ووضوح دلالاته.

وكذلك ممن ربط الذود عن لغة الأمة – ضد هذه الهجمة الآثمة – بمعاني رفقتها للقرآن الكريم الشاعر "جميل عبد الرحمن" في قوله من قصيدته "نشيد الضاد":[١]

---

١ – "الأعمال الكاملة"– ص٤٨ ، والأبيات من بحر الكامل.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

لغــةٌ يُزيّنُهــا كــلامُ الــوحي فــي أبهـــى نســـيج راقَ للأزمـــانِ
لغــةُ الخلــودِ تــذود عــن قرآنهــا وتظــلُّ صــابرةً علــى الأضــغانِ
وتعــيشُ رغــم الجــاهلين بوهْجِهــا ويطــلُّ منهــا حســنُها الربَّــاني

ثم يقول:

لكــنَّ حراســي يــذودون الــرَّدَى فــي ســجدةِ المحــرابِ كــلَّ أوانِ
وكتــابُ ربــي كــمْ أعــزَّ طلاوتــي وبقــاءَ كــلِّ عرائســي وجنــاني

فالشاعر يؤكد أن صلة الفصحى بكتاب الله تعالى يمنحها الجمال والطلاوة والخلود، وكذا يمنحها الصبر وتجاوز ما يحاك ضدها من ضغائن وإحن، ويمنح أبناءها الدافع ليذودوا عن حياضها وبهائها لتعيش متوقدة متوهجة مثمرة.

وهي المعاني ذاتها التي جاءت غرضًا لدى الشاعر "يوسف أبو القاسم الشريف"[١] في نصرته للفصحى، يقول: [٢]

عربيـــةٌ أشـــدو بهـــا وأجلهـــا وأذود عنهـــا عنـــد أي مخـــاطرِ
لغــةُ الجنــانِ وديــدنٌ لأولــي النهــى يســتافُ مــن هــذا العبيــرِ الطــاهرِ
والله يحفظهـــا بحفـــظ كتابـــه شــرف تتيــه بــه علــى المتفــاخرِ

فالشاعر أحد أبناء الفصحى يعدُّ نفسه جنديًا في ميدان معركتها ضد مَنْ يريد النيل منها، يذود عنها ويفتديها بنفسه ثم هو يُذكِّر بأنها لغة كتاب الله

١- يوسف عبد اللاه محمد أبو القاسم الشريف، ولد بجزيرة شندويل عام ١٩٥٨م،عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية واتحاد كتاب مصر، من دواوينه "دموع الليل" و"أنا الإنسان" و"بوح القصيد"[ينظر: "ديوان بوح القصيد"- ص٣- ط المنار للطبع والتوزيع- الأولى ٢٠١٧م]

٢- المصدر السابق ص٣٣ ، والأبيات من بحر الكامل.

تعالى ومحفوظة بحفظه، في إشارة واضحة من الشاعر إلى تلك الهجمة الآثمة الداعية إلى تقديم العامية والعجمة عليها.

أما الشاعر "طلعت المغربي"[١] فجاء ذوده عن الفصحى ونصرته أكثر تصريحًا بتلك الهجمة الآثمة على الفصحى، في قوله يخاطبها: [٢]

وعلى يديكِ تحققتْ كلُّ المنى ... وظنونُ من يرجو سواكِ تُخَيَّبُ

عاداكِ بعضُ المرجفين بجهلهم ... فعقولهم عن كل فهم تُحجَبُ

قد قيَّضَ اللهُ المجامعَ في الدنا ... تحمي الحبيبةَ عن عداةٍ ترغبُ

فيها ليوثُ الفكر قادة أمةٍ ... وهم الأُلى آراؤهم هي أصوبُ

سلُّوا الصوارمَ لايُشق غبارُها ... يذرون مَنْ عاداهمُ يترقَّبُ

يبدأ الشاعر يكذب تلك الدعوات الهدامة ويؤكد أن الفصحى تفي أبناءها بكل الرغبات، ثم هو يحيِّي علماء المجمع اللغوى وأهل الدفاع عن الفصحى الذين أخذوا على عاتقهم رد تلك الدعوات وكشف بطلانها، ثم يختم الشاعر قصيدته متمنيًا أن يكون بشعره أحد حاملي لواء الأمة وحراسها، يقول: [٣]

وليجعلنِّي الله من حراسِها ... فهي السعادةُ والجوارُ الأطيبُ

ولأرفعنَّ لواءَها فوق الذُّرَى ... قلمي وقرطاسي هنالك أصحبُ

لأدبجنَّ لها القصائدَ مادحًا ... تُتْلى إلى يوم القيامةِ .. تكتبُ

١-ولد في سوهاج عام ١٩٧٠م، تخرج في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، عضو رابطة الأدب الإسلامي واتحاد كتاب مصر، ومن إصداراته: "قامت تصلي"، و"بوح السالكين".[ينظر: "معجم البابطين لشعراء العرب المعاصرين"- ٨/ ٤٠٥].

٢-"ديوان بوح السالكين"- طلعت المغربي- ص ٥٤- ط مكتبة المنار ٢٠١٢م، والأبيات من بحر الكامل.

٣-المصدر السابق - ص ٥٤، والأبيات من بحر الكامل.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

في إيمان عميق بدور الشعر يتمنى الشاعر أن يدافع عن لغته ولغة الأمة بقصائده التي يكتبها ضد من يريد انكسارها والنيل منها، ثم هو يؤكد مكانتها وحفظها إلى يوم القيامة بالجوار الطاهر والرفقة الطيبة لآي القرآن الكريم، ولا أدل من أسلوب التوكيد الذي يبدأ به أبياته وكلمات "وليجعلنِّي، ولأرفعنَّ، لأدبجنَّ" على صدق الشاعر في ذوده عن الفصحى ونصرته وكل معاني قصيدته.

المبحث الثالث

شعر الرفقة.. فخر وتيه

اتصل غرض الفخر في الشعر العربي بنفوس تأبى الضيم وتعشق العزة وتهوى المجد، وعواطف قوية جياشة تنزع إلى الصفات والمحامد القويمة، مع قدر ليس قليلًا من المبالغة وإعمال الخيال في غرض من أكثر أغراض الشعر اتصالًا بالذات والمجتمع، وتأثيرًا على الفطرة الإنسانية.

وينقسم غرض الفخر في الشعر العربي إلى ذاتيّ ومجتمعيّ، الأول: يأتي عادة باستعمال ضمير المتكلم (أنا)، ويركن فيه الشاعر إلى إبراز صفاته الفردية دون النظر إلى الآخرين، ولعل أشهره ما سجلته دوواين الشعر الجاهلي لـ"عنترة العبسي"، والثاني: ويكون باستعمال ضمير الجمع (نحن)، وفيه يتغنى الشاعر بأمجاد وبطولات القبيلة والطائفة والقطر، وربما كان أشهره ما جاء لدى الجاهلي الفحل "عمرو بن كلثوم".

والحق إن القسمين لم يخلوَا من المبالغة والتهويل والنعرات القبلية والعصبية الجاهلية التي تذيع وتخبو من زمن لآخر حتى عصرنا، غير أن الكثير من شعراء الفخر المحدثين بات يؤمن أن المستقبل للانصراف عن الأغراض المنصبة على الأشخاص والمعاني الذاتية إلى القيم والمعاني الجامعة والسامية، فهي الأكثر تعبيرًا عن إحساسهم بقيمتهم وعزة أمتهم، ومن ثم جاء توجههم فخرًا وتيهًا بلغة الأمة وعنوان هويتها، فلا أسمى منها حين يكون الفخار، لاسيما حين يكون الفخر والتيه برفقة الفصحى لآي القرآن الكريم، ولسان النبي – صلى الله عليه وسلم–.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن أكثر ما يدل للفخر بهذه المعاني ما جاء لدى الشاعر "عبد الناصر عبد المولى"[١] في قصيدته "قبس من حروف النور"، وقد بدأها يسجل فخره وتيهه بلغته، يقول: [٢]

أبِكِـــلِّ شـــعر رائـــقٍ تتبـــاهى؟ أنـــا مـــا عرفتُـــك فـــاخرًا تيَّاهـــا

إنـــي بضـــادي قـــد فخـــرتُ وحُـــقَّ لـــي فهـــي القصـــيدةُ شمسُـــها وضُـــحاها

فـــاخلع نعالَـــكَ إن مـــررتَ بقدسِـــها عَطِّـــر مـــدادَكَ، واســـتَمِع نجواهـــا

خُلِقَـــتْ محـــالًا لـــيس يُعـــرَف مثلُـــهُ ولغـــاتهم قـــد خُلِّقَـــتْ أشـــباها

لـــو كـــان يصـــلح غيرُهـــا لكتابِـــهِ مـــا اختارهـــا للـــذكر مَـــنْ ســـوَّاها

بطريق الاستفهام الإنكاري في مطلع قصيدته يبين الشاعر أن الفخر والتيه عادة لا يأتيان من معاني وأغراض شعره لكنه هنا يتيه فرحًا وفخرًا بلغته أصل حروفه وقصائده، ثم هو يخلع عليها معاني الطهر والقداسة التي تنفرد بها عن غيرها، ثم يعلن الشاعر دافعه لذلك وهو ما تتمتع به لغته الأصيلة من اختيار الله تعالى لها دون غيرها لرفقة كتابه الكريم.

ثم هو في مقطع آخر يقول: [٣]

مـــاذا يقـــولُ الشـــعرُ؟ إنـــك جنـــةٌ! أنـــت الجنـــان وروضـــها وجَنَاهـــا

١-"عبد الناصر عبد المولى أحمد: من مواليد محافظة سوهاج عام ١٩٧٩م، عضو رابطة الأدب الإسلامي واتحاد كتاب مصر، من دواوينه "دراويش البنفسج" و"دنا فتدلى" و"صرخة في وجه النسيان". [ينظر:"ديوان دنا فتدلى"- ص٨٨- ط دار الأدهم للنشر والتوزيع- الأولى٢٠١٩م].

٢-المصدر السابق ص٦٦، والأبيات من بحر الكامل.

٣-المصدر نفسه ص٦٧.

قبَّلتُ في ظمأ التلفُّت كَفَّها وتلوْتُ ذكرَ اللهِ في لُقْياها
لما عشقتُكِ يا حروفي مخلصًا أيقنتُ أني قد عرفتُ اللهَ

يعود الشاعر للاستفهام وهذه المرة "إخباري"؛ ليعلن أن لغته التي يفخر بها ويعشقها لغة المعاني الجامعة، فهي لغة الجنان والرياض والثمار، وهي اللغة التي حين يلتقي حروفها يعدُّ ذلك ذكرًا وتلاوة وصلاة ومعرفة لله بما يتوفر لها من رفقة القرآن.

أما الشاعر "يوسف أبو القاسم الشريف" فقد بدا غرضه الشعري واضحًا بدءً من عنوان قصيدته عن الفصحى "لغة أتيه بها"، وفيها يقول: (١)

مذ كنتُ طفلًا كنتُ أعشقُ رسمَها وحروفَها تجري ببوْح خواطري
لغةٌ أتيهُ بها على جاراتِها جلَّتْ بوصفٍ فوق كل نظائرِ
عربية هاموا بها عشقًا وقد شادوا بها شرفًا عظيمَ حواضرِ
لغةُ الكتابِ تشرَّفَتْ بنزولِهِ للعالمين بكل خيرٍ وافرِ
سادتْ على أقرانها لمَّا حوَتْ نهج النبي الهاشميّ الطاهر
وتَعَطَّرتْ بفم النبيّ اليعربيّ وتقدَّستْ ترنيمةً للذاكرِ

أبيات تنطق بما يشعر به صاحبها من فخر وتيه تجاه لغته التي يعلن عشق رسمها وحروفها منذ صغره بما حازته من شرف تفخر به على كل اللغات، فهي لغة القرآن الكريم، وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم–، ولغة كل ما يجلب القداسة والسيادة من الترنم والترتيل والذكر والخير، ولا أدل على

١–"ديوان بوح القصيد" – ص٣٣، والأبيات من بحر الكامل.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

هذا الشعور بالفخر والتيه لدى الشاعر من اختياره هذا التعبير "لغة أتيه بها" عتَبَةً لنصه ودلالةً وعنوانًا.

وفي قصيدته "اللغة العربية" يتيه "علي الجارم" فخرًا بنسبته للفصحى، وينادي أهل الجزيرة العربية، يقول: (١)

يـا جيـرة الحـرمِ المزهـو سـاكنه سـقى العهـودَ الخـوالي كـلُّ منسـكبِ

لـي بيـنكم صـلةٌ عـزَّت أواصـرُها لأنهـا صـلةُ القـرآنِ والنسـبِ

فهو يعد صلته باللغة العربية كونه أحد ناطقيها صلةً بأهل جزيرة العرب، وأهل الجوار الطاهر سكان الحرم، وجيرة مهبط الوحي، ومن ثمَّ هو يفخر بهذه الصلة بينه وبين الفصحى لأنها تنسبه وتصله بالقرآن الكريم كما اتصلت وتشرَّفت.

ولعل أكثر ما يبدو لدى "علي الجارم" في البيتين من حيث الفن سَيْره على نهج الأقدمين في الدعاء للغة العربية وأهلها بالسقيا، وهي صيغة وظاهرة شعرية قديمة في الشعر العربي ترمز لمدافعة الموت والدعاء بمعاني النضارة والنماء والخير والرواء، على حد قول الشاعر الأموي "عبدالله بن الدمينة":(٢)

سـقى اللهُ نجـدًا والمقـيم بأرضـها سحاب غـوادٍ خاليـات مـن الرعـدِ

١-"ديوان علي الجارم"- ص ٣٢٧، والأبيات من بحر البسيط.

٢-"ديوان ابن الدمينة"- صنعة أبي العباس ثعلب- ت: أحمد راتب النفاخ- ص٨٥- ط مكتبة دار العروبة، والبيت من بحر الطويل.

وعلى الدعاء بالسقيا والظاهرة نفسها جاء قول "حافظ إبراهيم" في نصه الأشهر "اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها":[١]

سقى اللهُ في أرض الجزيرةِ أعظمًا يعز عليهم أن تلينَ قناتي

وقد بدا واضحًا أن الشاعريْن حين تناصا مع صيغة الدعاء بالسقيا استطاعا أن يوظفاها بحيث تؤدي مراداهما حيث معنى الفخر والتيه لدى "على الجارم"، أما "حافظ إبراهيم" فقد أراد المديح.

والفخر والتيه هو المعنى والغرض الذي خصصه الشاعر "طلعت المغربي" في جميع أبيات قصيدته عن الفصحى، وقد جاءت بعنوان "شمسها لا تحجب"، وقد استهلها بقوله: [٢]

لغة البيان جمالُها لا يحجبُ تبقى المليكة ملكها لايُسلبُ

أحتاجُ أفصحُ عن مدى حبي لها فتعينُني .. فلَهَا بها أتقرَّبُ

لغةٌ بها نزلَ الكتابُ من السما فلذا وأيمُ الله تاهتْ يعربُ

لغةٌ بها نطقَ النبيُّ محمد وهو النبيُّ اليعربيُّ الأطيبُ

من فاز منها بالوصول فما له بعد الوصال اليوم شيءٌ يُطلَبُ

يرى الشاعر لغته ملكة متوجة ذات جمال سائر لا يحجبه حاجب أو ساتر، ثم هو بهذا الفخر والتيه وتدبيج القصائد يحاول التقرب منها علّه يحظى بالوصول كما وصلت لغته حين نزل بها كتاب الله تعالى ونطق بها رسوله الكريم، ويؤكد الشاعر بالقسم أن شأنه في هذا الفخر والتيه هو شأن كل أبناء اللغة العربية ومنتسبيها.

١-"ديوان حافظ إبراهيم "- ضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري- ص٢٥٣- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٨٩م، والبيت من بحر الطويل.

٢-"ديوان بوح السالكين"- طلعت المغربي- ص ٥٤- ط مكتبة المنار ٢٠١٢م.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

أما الشاعر الرائد (حارس اللغة) [١] "مصطفى صادق الرافعي" فقد أبدى معنى الفخر والزهو برفقة الفصحى للقرآن الكريم في ختام قصيدته عن الفصحى بعنوان: "اللغة العربية والشرق"، يقول: [٢]

إذا اللغات ازدهت يومًا فقد ضَمِنَتْ ... للعُرْبِ أيَّ فخار بينها الكتُبُ

وفي المعادن ما تمضي برونقِهِ ... يدُ الصدا غير أنْ لا يصدأ الذهبُ

فقد جعل رفقة الفصحى للقرآن الكريم مبعثًا لأصالتها ومصدرا للفخر والتيه، ورأى الفارق بينها وبين غيرها هو الفارق بين المعدن النفيس الأصيل، والمعادن التي تعتريها الأصداء، على ما تفيده هنا صورة الكناية بعدم صدأ الذهب لنفاسته عن عدم تأثر الفصحى بما يدور حولها من محاولات التعدي والازدراء.

وكذلك جاء الفخر والتيه برفقة القرآن الكريم غرضًا رئيسًا لدى الشاعر "عبد الرحيم العسال"[٣] في أنشودته "وإلى الضاد سلامي"، يقول: [٤]

لغةُ الضادِ تحلَّتْ ... وتجلَّتْ كالحسامِ

وتباهَتْ من قديم ... وعلت فوق الغمام

فَبِها التنزيلُ يُتلى ... وهُدى خيرَ الأنامِ

١-لقبه في الصحافة المصرية.[ينظر: "في أدب الرافعي- د/ نعمات أحمد فؤاد- ص٥٠- ط دار الفكر العربي- القاهرة- الثانية دون تاريخ].

٢-"ديوان مصطفى صادق الرافعي- ٢/ ١٤- ط مكتبة الإيمان بالمنصورة- دون تاريخ، والبيتان من بحر البسيط.

٣-عبد الرحيم شعبان خلف العسال: من مواليد محافظة سوهاج عام ١٩٦٤م- تخرج في كلية الآداب عام١٩٨٦م، يعمل بالتربية والتعليم وعضو بعدد من أندية الأدب الإقليمية.[ينظر: ديوانه: "دموع البدر"- ص٤- ط دار الأدهم ١٩٩٣م] .

٤-المصدر السابق ص٤٣، والأبيات من مجزوء الرمل.

حَمَّـــــلَ القلـــــبُ ســـــلامي وحـــــوى كـــــلَّ غرامـــــي

للتـــــي أضـــــحت عروسًـــــا مثـــــل بـــــدرٍ فـــــي التمـــــام

فالشاعر يقدم بيان سبب افتخاره وهيامه وهو سمو الفصحى وحفظ كتاب الله تعالى وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم- لها، ثم يصورها عروسًا جميلة يحمل إليها سلام قلبه وغرامه، وفخره بالقرب منها والتودد لها.

على ما أفاده مجزوء الرمل وخفة الأبيات ورشاقتها في أداء معنى الفخر والتيه والهيام حيث بدا النص نشيدًا يتغنى به صاحبه فرحًا وطربًا بلغته الحبيبة.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الرابع

تصوير الرفقة .. حرز وضمان

لولا جدارة اللغة العربية بما منحها الله عز وجل من ميزات لغوية ومعجمية وصوتية ما كان اختيارها لتوصيل الخطاب الإلهي للناس على مر الأزمان، فأول ما تشرف به الفصحى هو هذا الاختيار لتكون رفيقة كتاب الله عز وجل ولسان نبيه – صلى الله عليه وسلم –، " إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝"(١)، ومن ثم عدَّ هذا الاختيار للفصحى حرزًا وضمانًا من عوادي الزمن على مرِّ العصور" إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝"(٢)، وهي الصورة التي جاءت حاضرة بقوة في تصوير الشعراء لرفقة الفصحى لكتاب الله إذ يرونها في كنف الله تعالى محاطة برعايته وحفظه، ومن ذلك تلك الصورة التي جاءت لدى الشاعر "علي الجارم" في قوله عن صلة الفصحى بالقرآن الكريم: (٣)

وأصبحتْ بنتُ عدنان بنفحته	تيها تجرر من أذيالها القُشبِ
فازت بركن شديد غير منصدع	من البيان وحبل غير مضطربِ
ولم تزل من حمى الإسلام في كنف	سهل ومن عزة في منزل خصبِ

يصور الشاعر الفصحى وقد وعت الشرف الذي حازته فراحت تزهو به وكأنها فتاة جميلة في ثياب قشيبة تختال على لداتها، ويصوّر هذه الرفقة حرزًا وضمانًا وركنًا شديدًا وسندًا وحبلًا قويًا لا ينفرط من المنعة والعزة

١-آية (٢)، سورة يوسف.

٢-آية (٩)، سورة الحجر.

٣-"ديوان علي الجارم"- ص٣٢٧، والأبيات من بحر البسيط.

والصون، ولعل الشاعر أراد بهذا التصوير أن يصف التحول الذي حدث للغة بعد الإسلام لتبدو واضحة المفارقة الكبرى التي حازتها بشرف هذه الرفقة.

وكذلك صرَّح الشاعر "عبد الناصر عبد المولى" بشرف هذه الرفقة حفظًا وضمانًا للفصحى في قوله: [١]

آيُ الكتـاب غـدت للضـاد حافظـة فـاللهُ ضـامنها والـوحي تـذكيرُ

فلـو علـى جبـلٍ الله أنزلهـا فـاض الخشـوعُ ودُكَّ الصـخرُ والطـورُ

ثم هو يختم قصيدته بقوله:

إن الخلـود خلـود الحـرف منبعـه ذكـر مبـين بـدا فـي هديـه النـور

فليست فقط الرفقة سببًا للحفظ والضمان، وإنما منبعًا للخشوع والخلود، فاللغة تتعبد لله تعالى برفقتها لكتابه، ومن ثم تمنحها هذه الرفقة البقاء والخلود.

وقد جاءت هذه المعاني جلية واضحة كذلك لدى الشاعر "محمد فاروق"[٢] في قصيدته بعنوان: "لغتي"، حيث اختار – من جهة الفن– أسلوب الحوار ليكون أداته في بلوغ هذه المعاني، يقول عن الفصحى: [٣]

يـا حسـنها درة والفخـر يملؤهـا لكـن مسـحة حـزن فـي مآقيهـا

---

١ – "ديوان صرخة في وجه النسيان"– ص٥٦– ط مطبعة لمسة للنشر والتوزيع، والأبيات من بحر البسيط.

٢–محمد فاروق محمد عثمان، ولد بمحافظة سوهاج عام ١٩٧١م، تخرج في جامعة الأزهر قسم اللغة العربية عام ١٩٩٧م، عضو اتحاد كتاب مصر، من دواوينه: "قلبي وعيناك و"نوح القوافي".[ينظر: ديوانه "سيد الكلمات"– ص٩٤– ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦].

٣–المرجع السابق ص٢٦، والأبيات من بحر البسيط.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

ساءلتها ما بها .. ماذا يكدرها؟ والله في محكم التنزيل حاميها

قالت قلاني ذوو الأوهام واتخذوا من اللغات بيوتًا خاب بانيها

ثم هو يخاطب أبناءها، يقول:

عودوا إليها فما في الكون من لغة تسمو إلى قدرها حتى تدانيها

عودوا إليها فلولا الله حافظها ذابت أو اندثرت عنا لآليها

في إشارة من الشاعر لتلك الدعوات الآثمة التي أرادت النَّيْل من الفصحى يصورها الشاعر حزينة متألمة، ويصرح بعلو قدرها وحفظ الله تعالى لها بسبب رفقتها لكتابه الكريم، ويطلب إلى أبنائها أن يتمسكوا بها وبشرف النسبة لها، على ما في تكرار فعل الأمر "عودوا" من معنى أهمية الطلب وصدقه والإلحاح عليه، وكذلك ما يفيده أسلوب الحوار من وضوح الصورة وجلاء معانيها.

وكذلك بدأ الشاعر السوري "جاك صبري شماس"[١] قصيدته عن الفصحى "أشرف اللغات" ببيان رفقتها للقرآن الكريم ثم صوَّر ما منحتها تلك الرفقة من الحماية والحفظ والخلود، يقول: [٢]

هامَ الفؤادُ بروضِك الريَّان أسمى اللغاتِ ربيبة القرآنِ

لغة حباها الله حرفُا خالدًا فتضوعت عبقًا على الأكوان

فاحذر أخي العربي من غدر المدى واغرس بذور الضاد في الوجدان

١-جاك صبري شماس: شاعر سوري من مواليد "الحسكة" عام ١٩٤٧م، نال شهادة "الليسانس" في اللغة العربية من جامعة حلب، عضو اتحاد كتاب العرب، وله عديد من الأعمال الأدبية. [ينظر ": شبكة المعلومات الدولية، موقع: www.ar.wikipede.org].

٢-ينظر: المرجع السابق، والأبيات من بحر الكامل.

ولئن نطقت أيا شقيقي فلتقُل خير اللغاتِ كنانة القرآن

كونها ربية القرآن وكنانته يرى الشاعر لغته أسمى اللغات وأعلاها، ويحذر أبناءها في كل الأقطار العربية من أن ينال أحد منها أو يريدها بسوء، على ما في كلمتي "أخي وشقيقي" من معنى الحث على الصلة والترابط ووضع الأيدي على الأيدي والقلوب على القلوب للحفاظ على لغة الأمة ورمز هويتها.

ومن بديع اقتران معاني الحماية والحفظ بمعاني رفقة الفصحى لآي القرآن الكريم تلك الصور التي جاءت لدى الشاعر "أيمن الحمال"[١] في قصيدته "مأساة الضاد"، ومنها يقول: [٢]

ياويح من ضيعوا الفصحى وقد شهدت لها الذخائر أن المجد من فيها

هل يرتضون ضياع الضاد في فمنا والله قد زادها فضلًا وتنزيها

ثم هو يختم قصيدته يقول:

فلتنصروا الضادَ حتى نستعيدَ لها ما كان من نهضةٍ زانتْ روابيها

إن الذي يقصدُ الفصحى بمنطقِهِ يشقَى، ويعلو على الأيامِ مُنْجِيها

ولن يضرَّ لسانَ الضاد هجرهمُ إن الذي حفظ القرآن يبقيها

وهذه لغة القرآن سامقة مهما تخاذلتموا فالله يحميها

١-د/ أيمن الحمال: شاعر فصحى، دكتوراة في التربية، عضو نادي الأدب بسوهاج، من مؤلفاته، التراث التربوي في المذهب الحنفي، وديوان "ناموا".[ينظر: ديوان "ناموا" – ص٤- ط المجلس المحلي للثقافة ١٩٩١م].

٢-المصدر السابق ص٢٧، والأبيات من بحر البسيط.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

يتعجب الشاعر ويتألم لهذه المفارقة بكون دعاة هدم الفصحى بعضًا من أبنائها ارتضوا أن يزدروها ويقدموا عليها غيرها إثمًا وبهتانًا، لكن الشاعر يؤكد أن الفصحى لن يضرها ما يحاك لها أو تأخر أبنائها عن نصرتها لأن الله عز وجل تكفل بذلك حين رضيها لغة لكتابه الكريم ورسالته الخاتمة.

المبحث الخامس

شعر الرفقة .. درس فني

وفيه: أولًا: الصورة الفنية

ثانيًا : الأساليب الإنشائية

ثالثًا: موسيقا النصوص وأثرها الدلالي

توطئة: ليس للنص قيمة إبداعية دون بنية أسلوبية فنية مستمدة من رؤية جمالية قادرة على جذب المتلقي ليتفاعل مع النص عبر تلك التراكيب والصياغات والأساليب الفنية التي تُبَثُّ في النص وتمده بالمتعة والإثارة وصور الخيال.

ويأتي هنا اختيار بعض ظواهر الأسلوب التي تتردد بقوة في نصوص التصوير الشعري لرفقة اللغة العربية لآي القرآن الكريم؛ لكون هذه الظواهر الأكثر وضوحًا وورودًا في أساليب الشعراء، وكذلك لدورها البارز في إنتاج الدلالة المرادة لدى الشاعر، وقدرتها على تكثيف مستويات البث الجمالي لتجربته الفنية، وذلك بين الصورة الفنية، والأساليب الإنشائية، وموسيقا النص وأنماط توقيعاته، في إطار اعتبار بعض الأطر الفنية المتعارف عليها في ميزان النقد، والإيمان بأنه ليس للفن قواعد ثابتة.

أولًا: الصورة الفنية:

يعمد الشاعر إلى فنون القول وطرق الكلام الحقيقية أو المجازية، فيختار ما هو أقرب لمراده، وأليق بغرضه، ويقدمها صورًا تسهم في التعبير عما يدور في خلده بطرق عديدة بدا بعضها جليًا في نصوص رفقة الفصحى لآي القرآن الكريم، وأهمها الصورتان الاستعارية والكنائية.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

أ-الصورة الاستعارية:

عبر الخيال الخصب والقدرة على الابتكار والإدهاش وبطريق التشخيص أو التجسيد عمد الشعراء إلى تكوين صورة تَمْثُل أمام المتلقي، وتسهم في معايشته للنص والدخول في عوالمه الرحبة، وبلوغه معنى رفقة الفصحى لآي القرآن الكريم، وأكثر ما بدا ذلك واضحًا في تجسيد الشعراء للغة العربية فتاة أو امرأة تتحدث عن مكانتها، وتتعاطى قضيتها، وتوصي أبناءها وتدافع عن نفسها.

ولعل الصورة الأشهر في ذلك تلك التي صوَّرها "حافظ إبراهيم" في قصيدته السائرة "اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها"، فقد أنطقها الشاعر شاكية تبث همومها، وتكشف عما يؤرقها وتبوح بما يكتنف نفسها، وتدفع تلك الاتهامات التي توجه إليها، وكذلك يصورها تفخر بنفسها ومكانتها وتُبرزُ أولَّ ما تفخر به حين يكون الفخار وهو رفقتها لآي القرآن، يقول الشاعر بلسانها:(١)

وسعتُ كتابَ اللهِ لفظًا وغايةً وما ضقتُ عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ وتنسيقِ أسماء لمخترعاتِ

ولاشك في أن استنطاق الفصحى وتعبير مَا ليس مِنْ شأنه التعبير أضاف لمعنى شرف الرفقة غناء ورواء، وللصورة وضوحًا وجلاءً، وأسهم في إلزام أعداء الفصحى الحجة في تأكيد بطلان دعواهم الآثمة.

١-"ديوان حافظ إبراهيم"- ضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري- ص٢٥٣، والبيتان من بحر الطويل.

وهي ذات الصورة بذات الملامح والقسمات التي جاءت لدى الشاعر "خليل مطران"[١] في قصيدته "عُتبُ اللغة العربية على أهلها"، وفيها يقول بلسان الفصحى: [٢]

يحاربني الأُلى جحدوا جميلي ... ولم تردعهمُ حرماتُ أصلي

وفي القرآنِ إعجازٌ تجلت ... حُلاي بنوره أسنى تجلِّ

فقد بث الشاعر في اللغة النبض الإنساني للقرآن الكريم ومحاسنها التي بدت بنوره وإعجازه وشرف النسبة إليه، في صورة استعارية أبلغ في إصابة الغرض وأكثر تحقيقًا لمعنى الشعر ودور الخيال.

وكذلك من بث النبض الإنساني في المدركات واستنطاق ما ليس من حقه النطق تلك الصورة التي جسدها الشاعر "حسن سباق"[٣] لحرف الفصحى يقول[٤]:

وما آسي إذِ الأعجام قد رطنوا ... ولكن صار نطقُ العُرْب لي عَجَبَا

١-خليل بك مطران: "شاعر القطرين" مصر والشام، ولد عام ١٨٧١م في بعلبك لبنان، ودرس الأدب الفرنسي في فرنسا، ونشط في الترجمة إلى العربية، ثم هاجر إلى مصر عام ١٩٠٢م، وظل بها حتى وفاته ١٩٤٩م [ديوان الخليل- ص٨٩- ط دار مارون عبود- بيروت ١٩٧٧م].

٢-"المختار من شعر الخليل"- د/ محمد عناني- ص٧٤- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٩٩م، والبيتان من بحر الوافر.

٣-"حسن حامد سباق: من مواليد مدينة ساقلته بسوهاج، عضو بعدد من الجمعيات والنوادي الأدبية بسوهاج، من مؤلفاته ديوان الشعر"لبيك خيلًا يا حبيبي"، وعدد من الدراسات الأدبية منها: "الصورة الأدبية في آيات الأمثال في القرآن الكريم" و"الطاقة الدلالية عند الشعراء الصوفيين". ["ديوان لبيك خيلًا ياحبيبي" ص٨٢- ط دار المنار للطباعة والنشر ٢٠٠٨م].

٤- المصدر السابق – ص٣٩، والأبيات من بحر الوافر في صورة تحمل على التجديد.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

فمـــا ظنـــوا بـــأن الله شَـــرَّفَنِي فـــأوحى الـــذِّكر فـــي لغتـــي بمـــا كتبـــا
ألا فاخشـــوا كتـــابَ اللهِ نهجـــرُهُ وننســـى اليـــوم نتلـــوه كمـــا وجبـــا
فـــلا بـــثٌّ لغيـــر الله أُظهـــرُهُ ولـــو أبقـــى كســـيرَ الظهـــر مُغْتربـــا

بلسان حرف الفصحى يجسد الشاعر صورة بثه الأسى والألم حين يرى أبناء الفصحى يقلدون الأعاجم وينطقون بلغتهم، وقد نسوا شرف لغتهم ورفقتها لوحي ربهم، ثم هو يوجه النصح إلى أبناء الفصحى بأنَّ تركهم للفصحى سيقودهم لهجر كتاب الله تعالى، ويوضح الشاعر بلسان حرف الفصحى أنه يقبل أن يبقى كسيرًا غريبًا وطريدًا على أن ينطق بغير ما أمر الله، في تعريض من الشاعر بهؤلاء الذين قبلوا الدنية في لغتهم ولغة كتاب ربهم وأرادوا استبدال غيرها بلغتهم.

ب-الصور الكنائية:

يأتي التعبير الكنائي من أكثر طرق تكوين الصورة في شعر تصوير رفقة اللغة الفصحى للقرآن الكريم، والكناية هي أن يعمد الشاعر إلى "إثبات معنى من المعاني فلايذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه"[١]، ومن ذلك تلك الصورة التي جاءت لدى الشاعر الدكتور "محمد عبادي" في قصيدته "ريم اللغات"، قوله:[٢]

وأنـا رسـول الشـعر جئـتُ مبايعًـا أمَّ اللغـــات وأحرفـــي اســـتحياء

١-"دلائل الإعجاز" – الإمام عبد القاهر الجرجاني- ص٦٦- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- دون تاريخ.

٢-"في محراب لغة الضاد" – مجموعة شعرية مشتركة- ص٢٣ ، والأبيات من بحر الكامل.

ماذا أقول وما معيني بالغ بعض الطريق وناقتي عرجاء؟!
هل يستقيم اللفظ ذات قصيدة أو يستوي المعراج والإسراء؟!

فالشاعر يكني بصورة عرج الناقة عن مراده بقصور شعره في الوفاء بوصف اللغة العربية، وكذلك يكني بصورة المفارقة بين المعراج والإسراء بما بين الفصحى وأخواتها الساميات من فوارق، على ما تسهمه الصورتان في إبراز مكانة الفصحى ومظهر تميزها، وبما يؤكد وضوح التصوير الكنائي أداة مهمة في أسلوب الشاعر.

وكذلك جاء التعبير الكنائي داعمًا لمعنى رفقة الفصحى للقرآن الكريم في قول الشاعر "عبد الرحيم الماسخ"[١] في قصيدته "لغةٌ في الظلمة قنديل":[٢]

طلعت، أتراها قد غربت قبلًا؟ فالموكب موصول
أم نحن طلعنا من شجر ثمرًا أنضجه الترتيل؟

الشاعر يرى اللغة الفصحى شمسًا لكنها تأبى على المغيب، ويرى أبناءها المخلصين الذين يذودون عن حياضها ثمرًا يسهم في نضجه "الترتيل" الذي يكنى به عن اللغة العربية كونها أداة ترتيل وقراءة القرآن الكريم، على ما في التصوير الكنائي من أداء صورة أكثر وضوحًا لرفقة الفصحى للقرآن الكريم، وأكثر تأثيرًا في روح المتلقي لاسيما وقد جمع إليها الشاعر أسلوب الاستفهام

١-عبد الرحيم أحمد الصغير: من مواليد مدينة المراغة بسوهاج، حصل على العديد من الجوائز منها جائزة صحيفة أخبار الأدب للشعر، وجائزة شعر الطفل، من دواوينه "ظلال الرؤى" و"تجاوز الصدى" و"رفيف السكون".[ينظر : "ديوان تجاوز الصدى"- ص٩٥- ط وزارة الثقافة المصرية ٢٠١٣م].

٢-المصدر السابق ص٥٤، والبيتان من بحر المتدارك.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

بما له من أبعاد دلالية وكبير تأثير، وربما كان هذا الإسهام من الاستفهام في الصورة يصلح توطئة لحديث الصفحات التالية عنه ضمن عدد من أساليب الإنشاء.

ثانياً : الأساليب الإنشائية:

تمدنا الأساليب الإنشائية بألوان مميزة من التعابير الفنية المؤثرة بما لها من أبعاد وجدانية ودلالية متعددة، وقدرة على التجدد والحركة تسهم في القضاء على الرتابة والنمطية وهي أهم الفوارق بينها وبين الأساليب الخبرية، فضلًا عن فاعلية الأسلوب الإنشائي في تنبيه المتلقي وتفاعله مع النص وصاحبه، وتعد الأساليب الإنشائية ظاهرة أسلوبية لدى شعراء تصوير رفقة الفصحى للقرآن الكريم، وتأتي بين أساليب النداء، والاستفهام، والشرط.

أ- النداء:

يعد النداء من أهم الأساليب الإنشائية غني بالإمكانات التعبيرية وأنواع الدلالات الوجدانية، فضلًا عما لأدوات النداء من معان وضعية تتجاوزها أحيانًا لتؤدي أغراضًا أخرى بما يمنح النص ثراء وغناء، ومن ذلك ما جاء لدى الشاعر "عبد الناصر عبدالمولى" في ختام قصيدته "لحن التفرد" ينادي الفصحى، يقول: [١]

أيا لسانًا بسحرِ الضادِ منطقه ... فاهنأ بمجدٍ فإن العزَّ مقدورُ

إن الخلودَ خلودُ الحرفِ منبعُهُ ... ذكر مبين بدا في هديهِ النورُ

١-"ديوان صرخة في وجه النسيان" – عبد الناصر عبد المولى– ص٥٦، والبيتان من بحر البسيط.

بالجمع بين الهمزة و"يا" يؤكد الشاعر نداءه الفصحى، ويقدم لها التهنئة على هذا المجد والعز والخلود الذي منحها قدرها السعيد برفقتها آي الذكر المبين، على ما يضفيه أسلوب النداء على الصورة من دلالة التقارب النفسي بين الشاعر ومناداه وانقضاء المسافات الزمانية والمكانية بينهما، ولاشك أنَّ تأكيد هذه المعاني في ختام القصيدة يعدُّ ترسيخًا لها في ذهن المتلقي.

وكذلك جاء أسلوب النداء داعمًا لصورة رفقة الفصحى للقرآن الكريم لدى الشاعر "محمد مصطفى حمام" في قصيدته "الشعر ولغة القرآن"، وقد بدأها يقول:[١]

مدوا على الكونِ ظل الشعر فينانا وأجزلوا من رحيقِ الشعرِ سقيانا

يا معشر الشعر صانَ اللهُ معقلكم ولم يَزل صوتكم في الأفْقِ رنَّانا

ليس فقط بالنداء وإنما بأسلوب إنشائي بين الأمر ثم النداء يستهل الشاعر قصيدته مذكرًا أبناء الفصحى بأهمية الشعر العربي والعمل على رفعته وبهائه، ثم هو يجعل من الفصحى معقلًا للشعر ويذكر بحماية الله تعالى لها كونها لغة كتابه الكريم، على ما يفيده أسلوب النداء من إرادة الشاعر أن يصل صوته إلى أقصى غاية وأن يسمع الجميع نداءه ليعلم بذاك الشرف الذي تحقق للفصحى ومن ثم حازه الشعراء.

وقد تكرر النداء لدى الشاعر "جميل عبد الرحمن" في قصيدته "نشيد الضاد" بما يوحي بكونه ظاهرة أسلوبية لديه، يقول: [٢]

يا قوم إنَّ بقاءكم بهويتي فتقدَّموا بفرائدي وحساني

١-"ديوان حمام" – محمد مسطفى حمام- ص١٣٧، والأبيات من بحر البسيط.

٢-"الأعمال الكاملة" -جميل عبد الرحمن- ١٥٩، والأبيات من بحر الكامل.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

وكتــاب ربــي كــم أعــزَّ طلاوتــي وبقــاء كــلِّ عرائســي وجنــاني
عقدي علـى صدر الـبلاد يضـمكم مهمــا تفــرق شــارد الولــدان

ينـادي الشـاعر أبنـاء الفصحى مذكرًا بفرائدها وميزاتها، ودعم كتاب الله تعالى لها، وكونها رمزًا للأمـة وعنوانًـا لهويتها وعزتها ومعنى جامعًا لأبنائها وإن تفرقوا عنها، ولعل النداء قد منح الصورة اتساعًا في الأفق وترامـيًا في حيز المكان والفضاءات ليصل النداء إلى كل أبناء الفصحى في كل الأقطار.

ب- الاستفهام:

قد يتجاوز الاستفهام معنى طلب العلم بالشيء إلى معان مجازيـة أخرى تمنح النص ثراء ورواء وتسهم في جلاء صوره وفهم معانيه، فضلًا عن تنبيه المتلقي وتفاعلـه مـع الـنص، وقـد ورد الاسـتفهام ظـاهرة أسـلوبية فـي شـعر تصوير رفقة الفصحى لآي القرآن، ومن ذلك ما جاء من تكرار الاستفهام لدى الشاعر "رمضان عبد اللاه إبراهيم"[١] في قصيدته "بغية البلغاء"، قوله: [٢]

ومــن التــي قــد جاءَهــا القــرآنُ زا ن حروفهــا بــتلاوةِ الأقبــاسِ؟
ومـن التـي احتكـرت فنـونَ بلاغـةٍ وتفــاخرت بكتائــبِ الحــراسِ؟
ومـن التـي احتفظـت بسـرِّ جمالِهـا رغـم الرُّمـاة، تجـرُّؤِ الأنجـاس؟
ومـن التـي فـي ثوبِهـا نقـشُ الكنـا يـة، جُلَّـةُ التشـبيه مثـل لباسـي؟

١-رمضـان عبـداللاه إبـراهيم: مـن مواليـد سـوهاج عـام ١٩٦٩م، تخـرج فـي كليـة الآداب عـام ١٩٩١م، عضـو رابطـة الأدب الإسـلامي العالميـة واتحـاد كتـاب مصـر، مـن دواوينـه "اقبلينـي حارسًـا" و"تتفتح أحلام الفجر" "لا تركعي".[ينظر: "ديوان لا تركعي"- ص٧٦- ط دار الأدهم االطباعة والتوزيع ٢٠١٥م].

٢-المصدر السابق ص٤٧، والأبيات من بحر الكامل.

فالشاعر يكرر الاستفهام ليقرر عدة معان تدعو للفخر يثبتها للفصحى، لكنه يُصَدُّرها بالقيمة الأغلى والأسمى وهى صلتها بالقرآن الكريم الذي زانها وحفظ مكانتها وتفردها، على ما أفاده الاستفهام وتكراره من إتمام الصورة وتقدير هذه القيم للفصحى وتكثيف دلالاتها ومعانيها.

أما الشاعر الدكتور "أيمن الحمال" فحين اعتمد أسلوب الاستفهام وكرر استفهاماته المتنوعة اختار أن يختمها بما يبرز صورة الشرف الذي حازته حين نزل بها كتاب الله، يقول في قصيدته "مأساة الضاد":(١)

يا راعيَ الضاد هل للضادِ من سندٍ أو مَنْ يعيدُ مدى الأيامِ ماضيها؟

بل مَنْ يداوي جراح الهجرِ فجَّرها جيل الشباب الأُلى قد فرطوا فيها؟

يا ويح قومي أمَا مِنْ باسطٍ يده يشفي الفصيحة من ظلمٍ ويحييها؟

هل يرتضون ضياع الضاد في فمِنا واللهُ قد زادها فضلًا وتنزيها؟

بين الاستخبار في البيت الأول، والتفجع في البيت الثاني، والتوبيخ في البيت الثالث، والإنكار في البيت الرابع، يأتي الاستفهام ليعبر عن الواقع النفسي للشاعر يموج بالرفض والاستنكار لتلك الدعوات الآثمة للنيل من الفصحى، على الرغم مما حازته من شرف وتنزيه باصطفاء الله تعالى لها دون غيرها من اللغات لرفقة كتابه الكريم.

وهو المعنى ذاته الذي أراده الشاعر "يوسف أبو القاسم الشريف" فيما ساق من استفهام إنكاري في قصيدته عن الفصحى "لغة أتيه بها"، يقول: (٢)

١-"ديوان ناموا" – د/ أيمن الحمال- ص٢٧، والبيتان من بحر البسيط.

٢-"ديوان بوح القصيد" – يوسف أبو القاسم الشريف- ص٣٣، والأبيات من بحر الكامل.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

سل عاذلي كلَّ اللغات وقل لنا مَنْ مثلُها تحوي فيوض نظائرِ؟
هل في لغاتِ الأرضِ أشباه لها في وصفِ آيات البديعِ القادرِ؟

فالشاعر ينكر على كل اللغات أن تحوي نظيرًا لميزات الفصحى، لاسيما ما حظيت به من صلتها بآي القرآن الكريم، وغير خفي ما أفاده أسلوب الاستفهام للصورة من جلاء ووضوح فضلًا عما أصابه من تكثيف المعاني الدلالية والقيمة الجمالية للبيتين وربما للقصيدة كلها.

جـ - أسلوب الشرط:

وهو اقتران معنى جملة بأخرى، بحيث لا يتحقق معنى الثانية – ويسمى "جواب الشرط"– إلا بتحقق الأولى – وتسمى فعل الشرط–، وذلك بواسطة أدوات ذات معنى تربط بين الجملتين.

وقد ورد هذا الأسلوب واضحًا في نصوص التصوير الشعري لرفقة الفصحى لآي القرآن الكريم على ما به من قيم جمالية ودلالية، ومن أكثر ما يدل له ما ورد لدى الشاعر "عبد الناصر عبد المولى" في قصيدته "قبس من حروف النور"، قوله عن الفصحى: (١)

لو كان يصلحُ غيرها لكتابِه ما اختارها للذكرِ من سوَّاها

ثم هو يختم قصيدته بقوله:

لمَّا عشقتك يا حروفي مخلصًا أيقنتُ أنِّي قد عرفتُ اللهَ

بدا أن الشرط سمة أسلوبية لدى الشاعر في هذه القصيدة، فقد تحقق في البيتين أسلوبا شرط ، الأول: يدعم معنى رفقة الفصحى لكتاب الله تعالى

١– ديوان دنا فتدلى" – عبد الناصر عبد المولى– ص٦٦، والأبيات من بحر الكامل.

ويسلب ذلك عن غيرها، والثاني: يدعم ذات الفكرة حين يعرف العبد ربَّه في كتابه تعالى ووحيه لنبيه – صلى الله عليه وسلم- بتلك اللغة التي شرفت باختيارها لتحمل هذا الخطاب، وحق للشاعر إذ بالفصحى وحدها نتيقن معرفة الله لاسيما حين يكون القرآن الكريم سببًا للهداية.

وعلى معنى أسلوب الشرط في البيت الأول يأتي أسلوب الشرط أداة تدعم صورة الرفقة في ختام قصيدة "الشعر ولغة القرآن" للشاعر "مصطفى حمام"، قوله عن الفصحى: [١]

لو لم تكن للغاتِ الأرضِ سيدة لأنزل اللهُ باللاتينِ قرآنا

فهو شرط يقرر للفصحى السيادة على سائر اللغات إذ لو لم تثبت لها لما اختارها الله تعالى لكتابه دون غيرها.

وكذلك جاء التعبير عن رفقة الفصحى لآيات القرآن الكريم بأسلوب الشرط لدى الإمام "محمد الخضر حسين"[٢] في قصيدته عن الفصحى بعنوان "فضل اللغة العربية"، قوله: [٣]

ولولا أنَّ هذا الذِّكْر يُتْلى لردَّ بياضُ غُرَّتِها سوادا

١-"ديوان حمام"- محمد مصطفى حمام- ص٢٣٧، والبيت من بحر البسيط.

٢-الشيخ محمد الخضر حسين: ولد بمدينة "تفطة" بتونس عام ١٨٧٦م، وتخرج من جامعة الزيتونة عام ١٣٠٧هـ، وحصل على العالمية من الأزهر وأصبح من كبار علمائه وتولى مشيخته عام ١٩٥٢م، وتوفي -رحمه الله- عام ١٩٥٨م.[ينظر: "الشيخ محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته"- د/ محمد بن إبراهيم الحمد- ص٧ وما بعدها- ط دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م].

٣-"موسوعة الأعمال الكاملة" – الإمام محمد الخضر حسين- ١٨٢/٨- ط دار النوادر- الأولى ١٤٣١هـ=٢٠١٠م، والبيتان من بحر الوافر.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

بأسلوب الشرط يردُّ الإمام كل محامد اللغة العربية لشرف صلتها بالذكر الحكيم وتلاوته بها إلى يوم الدين، ومن جهة الفن أيضًا يجمع الشاعر إلى أسلوب الشرط صورة الطباق والتقابل المعنوي بين البياض والسواد لتوحي باتساع الهوة والفارق بين الحالين، حال شرف الفصحى ورفقتها للقرآن الكريم – ويكني عنه الشاعر ببياض غرتها – وحال استلاب هذا الشرف ويعبر عنه بالسواد، وحقَّ للشاعر فقد أسهم التقابل بين اللونين– ويسميه البلاغيون "تدبيجًا"[١]– في جلاء صورة المفارقة الكبرى بين الحالين.

١–هو أن يذكر في معنى المدح أو غيره ألوانًا متقابلة بقصد الكناية أو غيرها.[ينظر: "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح"– عبد المتعال الصعيدي– ٤/ ٩– ط مكتبة الآداب– دون تاريخ].

ثالثاً: موسيقا النصوص وأثرها الدلالي:

الإيقاع والوزن هو السمة التي تميز الشعر عن غيره من ألوان الأدب، والموسيقا ليست مجرد نغم أو لون من التطريب، وإنما خاصية جوهرية لها دلالتها وأثرها في المعنى، واللغة العربية بمخارج حروفها، وانتظام مفرداتها وتراكيبها تعد لغة شاعرة وربما أكثر اللغات العالمية مناسبة للإيقاع. [١]

وتأسيسًا على هذا تأتي النصوص موضوع الدراسة والتي تصور رفقة الفصحى لآي القرآن الكريم، وعددها خمس وعشرون على الشكل التقليدي للقصيدة العربية وستة بحور خليلية بين اثنتي عشرة قصيدة على بحر "الكامل"، وسبع قصائد على بحر "البسيط"، وثلاث قصائد على بحر "الوافر"، وقصيدة واحدة لكل من بحور: "الطويل، والرمل، والمتدارك"، وذلك بعيدا عن معارك شكل القصيدة العربية، والجدول التالي يقدم درسًا إحصائيًا لهذا العرض.

م	البحر العروضي	عدد القصائد	النسبة المئوية
١	الكامل	١٢	٤٨٪
٢	البسيط	٧	٢٨٪
٣	الوافر	٣	١٢٪
٤	الطويل	١	٤٪
٥	الرمل	١	٤٪
٦	المتدارك	١	٤٪

١-"اللغة الشاعرة"- عباس العقاد- ص٢٧- ط نهضة مصر- القاهرة ١٩٩٥.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

وإذا كان الدرس الإحصائي يوضح أن أكثر نصوص التصوير الشعري لرفقة الفصحى لآي القرآن جاء على بحر الكامل ثم البسيط فإن ذلك يتلاءم مع طبيعة الموضوع وثراء البحرين وروائهما.

فالأول: بحر الكامل، وهو "وزن مترعٌ بالموسيقا ويتفق مع الجوانب العاطفية المحتومة، ويجمع بين الفخامة والرقة"(١)، كما أنه بحر " له صلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقًا أو خفيفًا وإن خلق للتغني المحض"(٢)، ومن ثم فنغمه وتوقيعه الموسيقي يلائم التصوير الشعري لفخامة وأبهة شرف رفقة الفصحى لآي القرآن الكريم، حيث النزوع الديني للشعراء وعاطفة الحب والفخر المعلنة نحو الفصحى، والرغبة في الذود عنها وإعلاء شأنها بإلهاب المشاعر وتأجيج العواطف عبر تنغيم جهير له جلجلة بحر الكامل.

أما الثاني: بحر البسيط فهو "بحر يتفق مع الشجن والتذكر والحنين ويعطي حالة من الانسيابية والسمو والصفاء"(٣)، فضلًا عن الجلالة والروعة، واستيعاب تعدد الانفعالات، وهي المعاني التي لاشك في أنها تتلاءم مع شعر الرفقة ووصف الفصحى، بما يشكل حضورًا موسيقيًا راقيًا يتفق مع رقي المعنى، وإحكام المبنى، وشرف الموضوع.

١-"دراسات في النص الشعري"- د/ عبده بدوي- ص٦٥- ط دار الرفاعي بالرياض ١٩٨٤م.
٢-"المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"- د/ عبد الله الطيب- ١/ ٣٠٢- ط مطبعة حكومة الكويت- الثالثة ١٩٨٩م.
٣-"دراسات في النص الشعري"- د/ عبده بدوي- ص٧٢.

ومن صور الإيقاع أيضاً والتي عدَّها النقاد أحد أنماط التوقيع الصوتي والموسيقي "رد الأعجاز على الصدور"، ومنه ما جاء في قول "خليل مطران" بلسان الفصحى يصف جلاء إعجاز القرآن الكريم:(١)

وفـــى القـــرآن إعجـــاز تجلَّـــت حـــــلاى بنـــــوره أســـــنى تجـــــل

فقد رد الشاعر آخر كلمات العجز لتجانس آخر كلمات العروض(٢)، تأكيداً من الشاعر على تجلية دور اللغة في بيان إعجاز القرآن الكريم، وغير خفي ما أحدثه التشابه بين لفظتي العروض والضرب من وقع صوتي متفرد أكسب موسيقا البيت جمالاً وزهاء لاسيما وقد تكرر هذا النمط الصوتي في غير بيت من القصيدة.

وبعد هذا العرض ربما يجدر القول إن اختيار القالب الشعري والظاهرة الموسيقية يخضعان للعاطفة والذوق الفطري والحس الفني، فالأوزان الشعرية صالحة للتعبير عن كل التجارب والانفعالات، وإن جاء بعضها أكثر ملاءمة في بعض الموضوعات.

١- من قصيدة "عتب اللغة العربية على أهلها- "المختار من شعر الخليل" للدكتور/ محمد عناني- ص ٧٤ - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م.

٢- وهو التعريف الاصطلاحي لهذا اللون من الفن.

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيد السادات، وعلى آله وصحبه الهداة، وبعد.

ها قد انتهى هذا البحث الذي جاء ليؤكد أنه بات يتعين على الأدب أن ينصرف عن المقاصد الشخصية والتوجهات الذاتية إلى الأهداف السامية، والمعاني الجامعة، وفي مقدمتها اللغة العربية أهم معالم هوية الأمة وتكوين فكرها وثقافتها.

وقد اضطلع البحث بدرس التصوير الشعري لما شرفت به الفصحى من رفقة آي القرآن الكريم، ولعله لم يتبق من هذا الدرس سوى ذكر نتائجه بما تنطوي عليه من توصيات تُسطَّرُ فيما يلي:

– في ضوء ما تتميز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات العالمية وأخواتها الساميات تؤكد هذه الدراسة أن أهم ما يميز الفصحى ويظل المبعث الأول لفخرها وعزتها هو شرف رفقتها لكتاب الله تعالى ولسان النبي – صلى الله عليه وسلم–.

– وكذلك تؤكد هذه الدراسة أن ما لاقته وتلاقيه اللغة العربية من محاولات هدَّامة للنيل منها وتقديم العامية والعجمة عليها لن ينال من صمودها وعطائها، ويبقى الفضل الأول في ذلك لصلتها بالقرآن الكريم ، ومن ثم فهي محفوظة بحفظه وخالدة بذكره.

– بدا من هذه الدراسة أنَّ صلة اللغة العربية بكتاب الله تعالى، وشرف نسبتها له يضمن لها أن الشعراء حين يصفونها يستدعون أسمى أوصافها المثلى التي تجلي مكانتها وميزاتها ومفارقتها عن غيرها.

– جاءت معاني النزوع الديني، والحب الذاتي، والفخر والتيه، والذود والنصرة، والضمان والحرز، أهم المعاني التي يتغياها الشعراء في وصفهم اللغة العربية ورفقتها للقرآن الكريم.

– تبقى من حيث الفن الصورتان الاستعارية والكنائية، وأساليب النداء، والاستفهام، والشرط، هي أبرز ظواهر الأسلوب لدى شعراء الرفقة ووصف الفصحى بما تفيده في بلوغ المعنى ووضوح الدلالة، وإثارة تنبيه المتلقي وتفاعله.

– تَوَضَّح من الدرس الموسيقي لشعر الرفقة ووصف الفصحى أن شعراءه ينزعون غالبًا إلى الشكل التقليدي للقصيدة على بحور الخليل، وأن بحري الكامل والبسيط يبقيان الأكثر استيعابًا وملاءمة لانفعالات الشعراء وتجاربهم لاسيما في تلك المعاني.

والله عز وجل أسأل أن يتقبل هذا العمل وصلًا للعلم والفن، ودعمًا للفصحى، ونهلًا من شرف رفقتها لكتاب الله الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

" فهرس المصادر والمراجع "

- القرآن الكريم.

أولاً : كتب مطبوعة :

١- "أنا"- للعقاد- ط دار نهضة مصر – ط الثالثة ٢٠٠٥م.

٢- "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح"-عبد المتعال الصعيدي- ط مكتبة الآداب- دون تاريخ.

٣- "دراسات في النص الشعري"- د/ عبده بدوي- ط دار الرفاعي بالرياض ١٩٨٤م.

٤- "دلائل الإعجاز"- الإمام عبد القاهر الجرجاني- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- دون تاريخ.

٥- "الشيخ محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته"- د/ محمد بن إبراهيم الحمد- ط دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م.

٦- "في أدب الرافعي"- د/ نعمات أحمد فؤاد- ط دار الفكر العربي- القاهرة- الثانية دون تاريخ.

٧- "اللغة الشاعرة"- عباس العقاد- ط نهضة مصر- القاهرة ١٩٩٥.

٨- "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"- د/ عبد الله الطيب- ط مطبعة حكومة الكويت- الثالثة ١٩٨٩م.

٩- "المستدرك على الصحيحين"- النيسابوري-ت: مصطفى عبد القادر- ط دار الكتب العلمية – الثانية ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م .

١٠- "معجم أدباء مصر"- مسعود شومان- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤م.

١١- "معجم البابطين لشعراء العرب المعاصرين"-ط دار الفكر العربي- الثالثة – دون تاريخ.

١٢- "معجم تراجم الشعراء الكبير"- د/ يحي مراد- ط دار الحديث – القاهرة- ٢٠٠٦م.

ثانياً : **دواوين ومجموعات شعرية** :

١٣- "الأعمال الكاملة" – جميل عبدالرحمن- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة- سبتمبر ٢٠١٤م.

١٤- "ديوان ابن الدمينة"- صنعة أبي العباس ثعلب- ت: أحمد راتب النفاخ- ط مكتبة دار العروبة.

١٥- "ديوان بوح السالكين"- طلعت المغربي- ط مكتبة المنار ٢٠١٢م.

١٦- "ديوان بوح القصيد" – ط المنار للطبع والتوزيع- الأولى ٢٠١٧م.

١٧- "ديوان تجاوز الصدى"-عبد الرحيم الماسخ- ط وزارة الثقافة المصرية ٢٠١٣م.

١٨- "ديوان حافظ إبراهيم"- ضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري- – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٨٩م

١٩- "ديوان حمام"- للشاعر محمد مصطفى حمام – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

٢٠- "ديوان الخليل"- خليل مطران- ط دار مارون عبود- بيروت ١٩٧٧م.

٢١- "ديوان دموع البدر"- عبد الرحيم العسال – ط دار الأدهم ١٩٩٣م.

٢٢- "ديوان دنا فتدلى" – عبد الناصر عبلد المولى- ط دار الأدهم للنشر والتوزيع- الأولى٢٠١٩م.

٢٣- "ديوان زخات حلم" – أبوزيد إسماعيل علام- ط دار المنار للطباعة ٢٠١٩م.

٢٤- "ديوان سيد الكلمات" -محمد فاروق- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦.

٢٥- "ديوان صرخة في وجه النسيان" – عبد الناصر عبد المولى – ط مكتبة لمسة للطباعة والتوزيع.

٢٦- ديوان "عازف الأرواء" – رشدي الضبع- ط مكتبة لمسة للطباعة عام ٢٠١٥م

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الالكتروني ISSN 2636 - 316X

٢٧- "ديوان علي الجارم"- ط دار الشروق – الأولى ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
٢٨- "ديوان قبل تبسم الفجر"- د/ عصمت رضوان- ط مكتبة الآداب عام ٢٠٠٤م.
٢٩- "ديوان لا تركعي"- رمضان عبد اللاه إبراهيم- ط دار الأدهم االطباعة والتوزيع ٢٠١٥م.
٣٠- "ديوان لبيك خيلًا ياحبيبي"- حسن سباق - ط دار المنار للطباعة والنشر ٢٠٠٨م.
٣١- "ديوان مبتدأ لبكاء آخر"- محمد عبادي- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦م.
٣٢- "ديوان مصطفى صادق الرافعي"- ط مكتبة الإيمان بالمنصورة- دون تاريخ.
٣٣- ديوان "ناموا" - د/ أيمن الحمال- ط المجلس المحلي للثقافة ١٩٩١م.
٣٤- "في محراب لغة الضاد" - مجموعة شعرية مشتركة- ط مفكرون الدولية للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٤١هـ
٣٥- "المختار من شعر الخليل"- د/ محمد عناني- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- الثالثة ١٩٩٩م.
٣٦- -"موسوعة الأعمال الكاملة" -الإمام محمد الخضر حسين- ط دار النوادر- الأولى ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

ثالثاً : **مواقع شبكة المعلومات الدولية** " **الانترنت**" :

. www.ar.wikipede.org
. http:www.hindawi.org

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	**ملخص**	١١٦٠٣
٢.	Abstract	١١٦٠٤
٣.	**المقدمة**	١١٦٠٥
٤.	**توطئة**	١١٦٠٧
٥.	**المبحث الأول: شعر الرفقة .. نزوع ديني.**	١١٦٠٩
٦.	**المبحث الثاني: تصوير الرفقة .. ذود ونصرة.**	١١٦١٦
٧.	**المبحث الثالث: شعر الرفقة .. فخر وتيه.**	١١٦٢١
٨.	**المبحث الرابع: تصوير الرفقة .. حرز وضمان.**	١١٦٢٨
٩.	**المبحث الخامس: شعر الرفقة .. درس فني.**	١١٦٣٣
١٠.	**أولاً: الصورة الفنية.**	١١٦٣٣
١١.	**ثانياً: الأساليب الإنشائية.**	١١٦٣٨
١٢.	**ثالثاً: موسيقا النصوص وأثرها الدلالي.**	١١٦٤٥
١٣.	**خاتمة**	١١٦٤٨
١٤.	**فهرس المصادر والمراجع**	١١٦٥٠
١٥.	**فهرس الموضوعات**	١١٦٥٣